سقوط صفد

محمد هشام العظم

هذا جزء من مذكرات عن حرب فلسطين ١٩٤٨ يعدها الكاتب العسكري العربي محمد هشام العظم الذي اشترك في هذه الحرب كضابط في جيش الانقاذ ثم شغل بعد ذلك العديد من المناصب العسكرية في الجيش السوري .

مقدمـــة :

اطلعت في العدد ٢١ من مجلة شؤون فلسطينية على مقال كتبه الاخ جادو عز الدين حول سقوط صفد سنة ١٩٤٨ . وبالرغم من أن الكاتب قد دعا في مقاله جميع الاحياء ممن حضروا المعركـــة او شاهدوا المأساة الى المبادرة لتوضيح ما غمض عليه . ولتصحيح ما أغفلته الذاكرة . فقد رأيتني مستجيبا لهذه الدعوة بدافعين : اولهما : انني كنت ممن خاضوا غمار هذه المعركة ، لا بل كنت في قلبها ، اي في قلب المدينة لا خارجها . وثانيهما: دافع الحقيقة والتاريخ . فلا بد من اجلاء الامور ولا بد من توضيح المسائل .

وأراني مضطرا الى الاعتراف بأن اعتمـــادي على الذاكرة في هذا الموضوع كان كاعتماد الاخرين عليه . ولكن شهود العيان هم دائما أذكر للمشاهد واكثر معرفة بالحوادث ومجرياتها ، بحكم وجودهم فيها ، ومعاناتهم لها .

على هذا التقدير فقد اغنانا الاخ جادو عزالدين في الشرح بما شاهده ووقف عليه خارج المدينة . فأتى على ذكره باسهاب وتفصيل لا يحتاجان الى مزيد . وان كانت لنا عليه بعض الملاحظـــات كما سيأتي .

وعلى هذا الاساس فانني ادعو القراء الـــى معاودة الاطلاع على مقال الاخ جادو عز الدين على سبيل استكمال المعرفة لا على سبيل المقارنة . لانه قد أتى في شرحه على كثير من الامور في داخل المدينة أيضا ، بما يتوجب على المشاهد ان يذكرها على حقيقتها خدمة للتاريخ .

وقد يكون لكل موضوع عدة أشكال من العرض لا تختلف باختلاف وجهات النظر المتفاوتة فحسب ، وانما باختلاف طرق العرض أيضـــا . وان أدت بالنتيجة الى هدف واحد . وما دامت الذاكرة هي مرجع الاثنين معا فليعذرني الاخ جادو اذا أضفت شيئا ، او نفيت أشياء ، او ركزت على امـــور لم يتطرق اليها في مقاله .

تمهيـــد :

دخلت فلسطين في منتصف شهر كانون الاول سنة ١٩٤٧ . مع سرية أدلب . وكنت معاونـــا لآمر السرية الرئيس الاول (الرائد) عبد الغفـــور حميدان . وقد تشكلت هذه السرية من عنـــاصر عسكرية سبقت لها الخدمة في جيش الشرق ايام الفرنسيين في سورية . وقد جمعهـــا السيد غالب العياشي نائب ادلب وأتي بها الى معسكرات قطنا. حيث كنا فيها ندرب هؤلاء المتطوعين الوافدين اليها من كافة الانحاء السورية والعربية . وبما ان هذه العناصر كانت لها خدمة عسكرية سابقة ، فقـــد اكتفت القيادة بتوزيع التجهيزات والاسلحة والذخيرة عليها . وأمرت بتشكيلها نظاميا بعد التحاقي بها، ثم طلب منها التحرك بها فورا للالتحاق بفوج المقدم أديب الشيشكلي في الجليل .

وبعد ثلاثة أيام كانت السرية مستكملة تشكيلها وتجهيزاتها واسلحتها وعتادها . فتحركت سياراتها الى الحدود اللبنانية ، حيث رافقها ضابط ارتباط لبناني الى مرجعيون . ومنها تقدمت الى صيدا وصور ثم الى رميش وهي قرية لبنانية علـــى الحدود الجنوبية . حيث ترجلت السرية وتابعت سيرها على الاقدام مستعينة بدليل كان ينتظرهـــا